رجال من الحرمين الشريفين (٤)

حمزة بن عبد المطلب ﷺ

حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله، وأحد نجباء العرب في الحسب والنسب، وأحد سادات قريش وكبار أشرافهم في الجاهلية والإسلام، ومن المسلمين الأوائل، الصحابي، الصنديد، البطل الشجاع، الشاعر، الفصيح، عمّ النبي ﷺ وأخوه في الرضاعة، اتصف بالكرم والنخوة والشجاعة، ولد ونشأ في مكة، وعند إعلان إسلامه، أعز الله الإسلام به، لأنه كان من أقوىٰ رجال قريش وأشدّها شكيمة، وقام يمنع الأذىٰ عن الرسول ﷺ وصحبه الكرام، وكان من كثرة ميله للإسلام وحبّه للرسول ﷺ أنه ضرب أبا جهل زعيم المشركين.

شارك الرسول ﷺ والمسلمين في محنة الحصار الذي فرضه مشركو قريش عليهم، وهاجر إلىٰ المدينة، وقاد أول سريه في سبيل الله، كما شارك في بقية الغزوات، وقاتل بين يدي الرسول ﷺ ببسالة نادرة، ضارباً في ذلك أروع أمثلة التضحية والفداء والإخلاص، استشهد في معركة أحد بعد أن أبلىٰ بلاءً

عظيماً، وقتل عدداً من زعماء ورؤوس الشرك فأثبت بذلك أنه جندي شديد البأس يُقاتل بكفاءة وبسيفين، وبحماس منقطع النظير.

وببركة استشهاد حمزة، ورهطه الكرام في معركة أُحد، عمّ الإسلام واتسع انتشاره فيما بعد، إذ غرست شهادتهم في نفوس الصحابة فضيلة حبّ الجهاد والتضحية والإخلاص المتزايد، فالشهيد هو الذي يصنع النصر المستمر، ويصنع الحياة الجديدة، ويضع اللبنة الأساسية والقوية للتاريخ المشرق، الذي تفتخر به الأجيال إلى الأبد.

وماأحوجنا إلىٰ احياء شخصياتنا التأريخية أمثال حمزةبن عبدالمطلب رضي الله عنه وغيرهم من القادة الأفذاذ الذين سطروا صفحات التاريخ بالآثار والأفعال العظيمة والأخلاق الحميدة.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وينتهي نسبه بعد ذلك بعدنان[١]. وأُمه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم صفية[٢] ويلتقي نسب أبيه من نسب أُمه في كلاب بن مُرّة ويصعد النسبان معاً إلىٰ عدنان ثم إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وقد ورد عن نسب أُمه في كلّ من الكتابين «نسب قريش» للمصعب الزبيري[٣] وكتاب «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد[٤] بأنها هالة بنت أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة، حيث يلتقي عمود النسب كما أسلفنا بعدنان فإسماعيل بن إبراهيم. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد، أن عبد مناف بن زهرة ولد «وهباً»، وهو جدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأمّه، آمنة بنت وهب[٥].

وأما كنيته، فهي كما وردت في تاريخ العيقوبي:

«وحمزة، وهو أبو يُعلىٰ، أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ»(٦).

وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ:

«وكان يكنىٰ أبا عمارة، وكان له ولد من الولد، يُعلىٰ، وكان يكنىٰ به حمزة، أبا يُعلىٰ ...»(٧).

وكتب عنه «شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي» في كتابه سير أعلام النبلاء، وهو يكمل علىٰ ما سبق، في ذكر كناياته وألقابه التي كان يلّقب بها، فقال عن حمزة بأنه «الإمام، البطل، الضرغام، أسد الله، أبو عمارة، وأبو يُعلىٰ، القريشي، الهاشمي، المكي، المدني، ثم البدري، الشهيد، عم رسول الله ﷺ، وأخوه في الرضاعة»(٨).

وتحت عنوان (ذكر اسمه وكنيته ﷺ يقول العلاّمة الحافظ محب الدين الطبري:

«ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام حمزة، ويكنىٰ أبا عمارة، وأبا يعلىٰ ... كنيتان له، بابنيه عمارة ويُعلىٰ، وكان يدعىٰ أسد الله وأسد رسوله ﷺ».

عن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن أبي لبية عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله عزّ وجلّ في السماء السابعة، حمزة أسد الله وأسد رسوله ﷺ» أخرجه البغوي في معجمه(٩).

معنىٰ حمزة في اللغة:

أما معنىٰ حمزة في اللغة العربية، فهو كما ورد في كتاب «مختار الصحاح» لمحمد بن أبي بكر الرازي في مادة ـ ح م ز ـ (حمز الرجل، من باب، ظُرُفَ أي اشتد، فهو حَميز الفؤاد، و (حامزه). وفي الحديث عن ابن عباس ﷺ:ـ «أفضل

الأعمال (أخمرها) أي أمتنُها وأقواها»[١٠].

ولادته ووفاته:

ولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب في مكة المكرمة سنة (٥٤ قبل الهجرة/٥٦٨ ميلاديه). وتوفي شهيداً في معركة أُحد، سنة (٣ للهجرة/٦٢٥ ميلادية)[١١]، ودفن جنوبي جبل أُحد، حيث وقعت المعركة في المدينة المنورة في السنة المذكورة آنفاً، فقد ورد في مجلة آخر ساعة المصريه، العدد ٢٠٤٦ ١٩٧٤-١٦ ذي الحجة سنة ١٣٩٣، تحقيق عن المدينة المنوره بقلم: عدنان العبد جاء فيه .. «وجنوبي الجبل ـ جبل أُحد ـ وفي وادي قناة وعلىٰ جانبه توجد قبور الشهداء من أبطال المسلمين وعلىٰ رأسهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عمّ رسول الله ﷺ وسيد الشهداء»[١٢] ... وقد «قتل علىٰ رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة، وكان يوم قتل، له سبع وخمسون سنه ودفن هو وابن أخيه عبد الله بن جحش في قبر واحد»[١٣].

نشأة سيدنا حمزة بن عبد المطلب الأولىٰ:

يلاحظ من تتبع ودراسة حلقات حياة حمزة بن عبد المطلب الأولىٰ أنه نشأ نشأةً مستقيمة، خالية من عيوب وسلبيات المجتمع القريشي، وكبر وسط هذا المجتمع، وهو يجتمع علىٰ كلّ الخصال السليمة، والمواقف الرشيدة، فكان يحمل عقلاً نافذاً، وضميراً حيّاً، ينبض بالشجاعة وحب الخير، وكان يعتد بذاته، ولا يحب التجبر والتهور، والعدوان على الغير، ويأنف من الظلم، كما كان في نفس الوقت لا يحب أن يعتدي عليه أحد، أو علىٰ أقربائه .. وكان الناس يعرفون له قدره ومكانته. وكان يحمل معه كلّ الصفات الهاشمية الأصيلة كالصدق والوفاء

والكرم والفتوه والشجاعة بكل معناهاه.

ومع قلة ورود الأخبار المتناثرة في بطون التاريخ في الفترة ما قبل الإسلام، إلّا أنها جميعاً تؤكد تجسيم الشخصية الكاملة فيه، وتؤشر الملامح الصحيحة للإنسان الفاضل الذي سيدخل التاريخ من أوسع وأشرف أبوابه، ويسجل له فيه مجداً خالداً إلى الأبد، وفعلاً دخل التأريخ وسطر له حروفاً نورانيه مشحونة بالمجد والخلود وبقاء الذكر (١٤).

وكان حمزة صاحب إرادة قوية، عزيز النفس، كريم الطباع، نشأ وقد تأثر بمركز والده عبد المطلب القائم على الشرف والسيادة والرئاسة وحب الناس له، وكان معدن حمزة نقياً، ومعروفاً باستقامة الضمير ونفاذ البصيرة وحب الخير، والتمثل بالشمائل الطيبة، المبنية على الإرادة والتصميم وسلامة اتخاذ المواقف، ومن هنا دخل حمزة التاريخ ومن أحسن أبوابه، وسجل له التأريخ بدوره جميع مواقفه البطولية (١٥).

العلاقة بن حمزة ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

تكشف لنا أخبار حمزة بن عبد المطلب أنه كان شديد التعلق بابن أخيه محمد بن عبد الله، والرعاية له، والدفاع عنه إذا مسّه سوء من أحد، والاستجابة لمطالبه وتلبية رغباته على أتم الاستعداد وعلىٰ جناح السرعة بالإرادة والتصميم، ودون تردد أو إحجام.

فهو عمّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأخوه في الرضاعة، فقد كتب اليعقوبي عن مولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «فكان أول لبن شربه بعد أمه لبن ثويبة مولاة أبي لهب. وقد أرضعت ثويبة هذه حمزة وجعفر بن أبي طالب، وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي ...»(١٦)، وكان أكبر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربع سنين وقيل سنتين(١٧).

وكان حمزة كما بيّنّا سابقاً، يعرف ويشعر بعظمة مكانة ابن أخيه محمد ﷺ وكماله، وكان علىٰ بينةٍ من حقيقة أمره، ومعرفة جوهره، وصفاته الجيدة، وكانت رابطة حمزة بمحمد ﷺ رابطة عمومة وأخوة وصداقة متفاعلة ببعض، ذلك أن الرسول وحمزة كانا من جيل اجتماعي واحد، وسن متقاربة، نشأ كل واحد منهم مع الآخر. وكانت تخيم عليهما عائلة عبد المطلب المعروفة، وقد تآخياً في ظل هذه العائلة الطيبة، منذ المراحل المبكرة من حياتهما وسارا معاً علىٰ الدرب، من الخطوات الأولىٰ.

اشترك محمد ﷺ وحمزة بنشأتهما الأولىٰ في أرفع بيوتات العرب في قريش في السيادة والكرم والحلم والشجاعة والمنزلة الرفيعة، فمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، كلاهما يشتركان بالاعتزاز بهاذ الفضل الذي رسمه عبد المطلب وحاز به في المجتمع، فهو سيد بطحاء مكة وزعيم قريش بلا منافس.

وقد اكسب الزمن تاريخ هذه العائلة الذي ينتمي إليه كل من محمد ﷺ وحمزة بالتجارب الواسعة في الحياة والتبصر في فهم شؤون المجتمع. وقد استمرت العلاقات القائمة بين الرسول ﷺ وحمزة علىٰ مدى الأيام وهي تزداد قوة علىٰ قوة، وتوثقت أكثر فأكثر بعد انضمام حمزة للمسلمين وإعلان إسلامه. فكانت علاقتهما علىٰ هذا الأساس قائمة على المصير المشترك والمسؤولية الواعية، وعلى التضحية من أجل المبادئ العليا، وهكذا سجّل التاريخ في لوحاته المجيدة لكل منهما المواقف المشرفة والأدوار البطولية الخالدة بأحرف من نور.

إسلام حمزة في الميزان

إن إعلان إسلام حمزة بن عبد المطلب يعدُّ نصراً عظيماً للإسلام

والمسلمين فهو ممن أعزّ الله به الإسلام، وكان موقفه مع الرسول ﷺ والمسلمين قبل إسلامه موقفاً سليماً وطبيعياً ... حيث لم يسجل عليه التاريخ أية بادرة سلبية، أو تشنجاً يشم منه رائحه العناد والمعارضة ضد الدعوة الإسلامية الأولىٰ ... بل بالعكس كان يحب الرسول ﷺ، ولم يتغير عليه، ولقد دافع عنه وعن المسلمين ضد أبي جهل بل ضرب أبا جهل أمام الملأ وكان ذلك قبل أن يسلم حمزة.

وقد دُرس الوضع الجديد المتمثل بإسلام حمزة رضي الله عنه، ووجدوا بأن إسلام حمزة رضي الله عنه فتح صفحة جديدة رائعة في تاريخ الدعوة، وفسح المجال الرحب لرغبة جماعات للانضمام إلىٰ هذا الدين الجديد، لذلك قام المشركون بوضع استراتيجية جديدة، وهي إعلان الحرب الأهلية والنفسية والاقتصادية، لإلحاق الأذىٰ بالمسلمين، وتعذيبهم، وفرض المضايقات المختلفة عليهم، وإثارة الأراجيف الكاذبة ضدهم، وسبيهم ومحاربة مصالحهم وإثارة النزاعات في وجوههم، وقد عرف حمزة ما تحملة الأوضاع الجديدة من نتائج حاسمة، وكان مثال المجاهد الصبور.

ملازمة حمزة للرسول وعدم هجرته إلى الحبشة:

لما أصرت قريش علىٰ مناصبة النبي ﷺ ومن معه العداء، أذن الرسول ﷺ لبعض المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فقد جاء في كتاب تاريخ العيقوبي: «ولما رأىٰ رسول الله ﷺ ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب، وما هو فيه من الأمن، بمنع أبي طالب عمّه إياه، قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى الحبشة، إلى النجاشي، فإنه يحسن الجوار، فخرج في المرة الأولىٰ اثنا عشر رجلاً وفي الثانية سبعون رجلاً، سوىٰ أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأوائل، فكان لهم

عند النجاشي منزلة، وكان يرسل إلىٰ جعفر فيسأله عما يريد ... الخ»[١٨].. «وأقام المسلمون بأرض الحبشة، حتىٰ ولد لهم أولاد، وجميع أولاد جعفر ولدوا بأرض الحبشة، ولم يزالوا بها بأمن وسلام، واسم النجاشي»[١٩].

وقد بقي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في مكّة ملازماً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتحمل القسط الأكبر من العذاب والقسوة التي وجهتها قريش للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يهاجر إلى الحبشة، وكان سلاحه الإيمان بالله والصبر والثبات.

حمزة والهجرة إلى المدينة:

بعدما نال المسلمون أنواع العذاب والمقاومة وصنوف الضغوط المليئة بالقسوة والعنف والإحجاف والعناد من المشركين، أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالهجرة من مكة إلى المدينة، وكان حمزة ممن استجاب لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهاجر إلى المدينة تاركاً مسقط رأسه مكة، ما دامت المسألة تتعلق بالمبدإ والعقيدة.

وقد اختلفت الرويات التاريخية في منزل حمزة بن عبد المطلب في المدينة بعد هجرته من مكة، فبعض الرويات تقول إنه نزل علىٰ كلثوم بن الهدم والأخرىٰ تقول علىٰ سعد بن خثيمة، وغيرها تقول علىٰ غير هؤلاء المذكورين.

وقد ورد حول هنا الموضوع في الطبقات الكبرىٰ لابن سعد قال «أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا محمد بن صالح عن عمران بن مناح، قال: لما هاجر حمزة بن عبد المطلب إلى المدينة نزل علىٰ كلثوم بن الهدم، قال محمد بن صالح: وقال عاصم بن عمر بن قتادة: نزل علىٰ سعد بن خثيمة»[٢٠].

وورد عن الموضوع نفسه في السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق قال: «قال ابن إسحاق: ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرشد كناز بن حِصن. قال ابن هشام: ويقال: هو ابن حُصين. قال ابن إسحاق: وابنه

مرشد الفُنويان، حليف حمزة بن عبد المطلب، وأنَستُ، وبكشة، موليا رسول الله ﷺ علىٰ كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء، ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب علىٰ أسعد بن زرارة أخي بني النجار، كل ذلك، يقال»[٢١].

شخصية حمزة العسكرية:

يعود سبب شجاعته إلىٰ عاملين رئيسيين، أولهما صفاته البدنية اللآئقة، والثاني الصفات المعنوية العالية التي كانت تتوفر في جوهر شخصيته ... فعن العامل الأول ورد في طبقات ابن سعد عن صفاته البدنية: بأنه ... «كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير»[٢٢]. وتعتبر هذه الصفة البدنية من الصفات التي يمتاز بها أكثر رجال العرب والعسكريون الشجعان المقاتلون الأشداء.

وأما بالنسبة للصفات المعنوية وهي العامل الثاني، فقد كان حمزة بن عبد المطلب قوياً جلداً في الحروب، لا يعرف التراجع. واثق في نفسه أثناء القتال، وعرف عنه في الحروب أنه ذلك المجاهد الصبور وكان يقاتل بسيفين كما فعل ذلك في معركة أحد وبشهادة الصحابة عنه. فقد ورد في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي قال: عن ابن عون، عن عمير بن إسحاق، عن سعد بن أبي وقاص: «كان حمزة يقاتل يوم أحد بسيفين ويقول: أنا اسد الله» (رواه يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير مسترسلاً)[٢٣]. وخلاصة القول كانت شخصية حمزة العسكرية متكاملة ومبنية علىٰ الثقة بالنفس والإقدام في تنفيذ الواجب بإتقان تام، وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء.

مشاركة حمزة في الغزوات الأولىٰ:

كان حمزة عسكرياً فذاً وجندياً ماهراً في القتال، يحارب ويجاهد تحت

قيادة الرسول ﷺ، وقد شارك في الغزوات الأولىٰ بعد هجرته من مكة إلى المدينة، ابتداءً من رئاسته لأول سريه غزاها، إلىٰ مشاركته في معركة أحد والتي نال فيها شرف الاستشهاد، وقد أجمع المؤرخون وكتّاب السير علىٰ مشاركته الفعّالة ومساهمته البارعة في المشاهد الأولىٰ تحت زعامة الرسول ﷺ، ولم يورد المؤرخون اسم حمزة صراحة في هذه الغزوات، وإنما ذكروه في بعضها بشكل صريح وتارة أخرىٰ يلمّحون إلىٰ اسمه بصورة غير مباشرة. وكان لحمزة البطل الدور البارز والفعال في هذه الغزوات، فقد أبدىٰ صنوف الشجاعة والإقدام والإخلاص لله ولرسوله ولعقيدته[٢٤].

سرية حمزة بن عبد المطلب:

أجمع المؤرخون وكتّاب السير والمغازي الأولىٰ علىٰ أن أول سرية عقدها رسول الله ﷺ كانت لحمزة بن عبد المطلب، ووصل حمزة بهذه السرية إلىٰ سيف البحر في ثلاثين راكباً «يعترض عير قريش» وهي منحدرة إلىٰ مكة، وقد جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب، فانصرف ولم يكن بينهم قتال ... قال محمد بن عمر: هو الخبر المجمع عليه عندنا أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب»[٢٥]. وقد جاء في تاريخ اليعقوبي عن هذه الغزوة فقال: «وأقام رسول الله ﷺ، يتلوّم ويتهيأ للقتال حتىٰ أنزل عزّ وجل: ﴿أُذن للذين يقاتلونَ بأنهم ظُلموا وإن اللهَ علىٰ نصرهم لقدير﴾[٢٦] والآية الأخرىٰ. قال: ﴿فقاتِل في سبيل الله لا تُكلّفُ إلّا نفسَكَ﴾[٢٧] إلىٰ آخر الآية. فكان الرجل من المؤمنين يُعدُّ بعشرة من المشركين، حتىٰ أنزل عزّ وجل ﴿الآن خفَّف اللهُ عنكم وعَلِمَ أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين ...﴾[٢٨] وأنزل عزّ وجل سيفاً من السماء له غمد، فقال له

جبرئيل: ربك يأمرك أن تقاتل بهذا السيف قومك حتىٰ يقولوا: لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله ﷺ، فإذا فعلوا ذلك حرمت دماؤهم وأموالهم، فكانت أول سريه سارت هي لحمزة بن عبد المطلب[٢٩]. ويقول المدايني: «إن أول سرية بعثها رسول الله ﷺ. لحمزة بن عبد المطلب في ربيع الأول من سنة اثنين إلىٰ سيف البحر من أرض جهينة [وسيف البحر يعني ساحله] أخرجه أبو عمر وصاحب الصفوة ولفظة أول لواء عقده رسول الله لحمزة حيث قدم المدينة»[٣٠].

مقتل حمزة بن عبد المطلب:

كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بشدة، وكان يحارب بيقين، وقد قُتل بعد أن قتل رجالاً من قريش، حيث «رماه وحشي، عبد لجبير بن مطعم فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فأخذت منه قطعة فلاكتها، وجدعت أنفه، فجزع عليه الرسول ﷺ جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك، وكبّر عليه خمس وسبعين تكبيرة»[٣١].

جاء في السيرة النبوية لابن هشام عن وحشي فقال: «ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له: وحشي، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلّما يخطئ بها، فقال له: أخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمد ﷺ بعمّي وطعيمة بن عدي، فأنت عتيق»[٣٢].

وهكذا خرج وحشي مع رجال قريش ومعهم بعض النسوة وكانت «هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مرّ بها، قالت: ويها أبا دسمة اشف واستشف، وكان وحشي يكنىٰ بأبي دسمة، فأقبلوا حتىٰ نزلوا بعينين، بجبل ببطن السّبخة من قناة علىٰ شفير الوداي، مقابل المدينة»[٣٣].

وقد تكلم وحشي عن قتل حمزة، كما جاء في السيرة النبوية لابن هشام

«قال وحشي، غلام جبير بن مطعم: والله أني لأنظر إلىٰ حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يُليق به شيئاً، مثل الجمل الأورق، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزىٰ، فقال له حمزة: هلم إليّ يا ابن مقطعة البظور، فضربه ضربة، فكأن ما أخطأ رأسه وهززت حربتي حتىٰ إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته حتىٰ خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي، فغُلِب فوقع، وأمهلتُه حتىٰ إذا مات جئت فأخذت حَربتي، ثم تنميت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره»[٣٤].

مدفن حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه بأُحد

تاريخ قتل حمزة بن عبد المطلب:

قتل علىٰ رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وكان يوم قتل له سبع

وخمسون سنة، ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش في قبر واحد، وفي رواية كان سنّه يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة، وكان أصغر من رسول الله بأربع سنين (٣٥).

بكاء النبي ﷺ علىٰ حمزة بن عبد المطلب:

قال ابن هشام: لما وقف رسول الله ﷺ علىٰ حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً وما وقفت موقفاً قط أغيظ لي من هذا.

وعن ابن عباس قال: لما انصرف المشركون عن قتلىٰ أُحد، انصرف رسول الله ﷺ فرأىٰ منظراً ساءه ورأىٰ حمزة قد شقّ بطنه واصطلم [أي قطع] أنفه، وجدعت أذناه، فقال: لولا أن تجزع النساء ويكون سنّة من بعدي لتركته حتىٰ يبعثه الله من بطون السباع والطير ...، ولأمثلنّ مكانه بسبعين قتيلاً منهم. ثم كفن ببردة غطىٰ بها وجهه وجعل علىٰ رجليه شيئاً من الأذخر [الأذخر وهو حشيشة طيبة الرائحة] ثم قدم وصلىٰ عليه عشراً ثم جعل يجاء بالرجل وحمزة مكانه حتىٰ صلىٰ عليه سبعين صلاة، وكان عدد القتلىٰ سبعين، فلما فرغ منهم نزل قوله تعالىٰ: ﴿**ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة**﴾ (٣٦) إلىٰ قوله ﴿**واصبر وما صبرك إلّا بالله**﴾ (٣٧).

لقد عرفنا من خلال هذه الروايات، مدىٰ حزن الرسول ﷺ علىٰ مقتل حمزة رضي الله عنه وإحاطة الرسول ﷺ وأصحابه بالجثمان الطاهر لحمزة وهو مسجىٰ على الأرض، يبكون عليه.

ذكر غسل الملائكة حمزة رضي الله عنه:

عن الحسن عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: رأيت حمزة تغسله الملائكة (٣٨).

ذكر وصيته رضي الله عنه:

قال ابن اسحاق: أوصىٰ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فيما بلغنا إلىٰ زيد بن حارثة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخىٰ بينهُ وبينه، أوصىٰ إليه يوم أحد لما حضر القتال إن حدث به حادث الموت(٣٩).

حمزة يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يشرّفه الله برؤية جبريل:

كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يرفض لحمزة أي طلب، مهما كان نوعه، وقد طلب من الرسول ذات مرة أن يشرفه الله برؤية جبريل عليه السلام علىٰ صورته، وقد ورد الخبر في الطبقات الكبرىٰ لابن سعد حيث نقل:ـ

«قال: أخبرنا موسىٰ بن إسماعيل، قال أخبرنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار: أن حمزة بن عبد المطلب، سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يُريه جبريل في صورته، فقال: «إنك لا تستطيع أن تراه» قال: «بلىٰ». قال: «سأقعد مكانك». قال: فنزل جبريل علىٰ خشبة في الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها، إذا طافوا بالبيت، فقال: «أرفع طرفك فانظر» فإذا قدماه مثل الزبرجد الأخضر، فخر مغشياً عليه»(٤٠).

ذكر أنه أسد الله ورسوله:

عن يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن أبي لبيبة عن أبيه عن جده قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم «والذي نفسي بيده إنه مكتوب عن الله عزّ وجلّ في السماء السابعة حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله» وقال ابن هشام: قال صلى الله عليه وآله وسلم «جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السماوات السبع أسد الله ورسوله»(٤١).

ذكر أنه خير أعمام النبي ﷺ:

عن عبد الرحمٰن بن عابس عن أبيه قال قال ﷺ «خير أعمامي حمزة»(٤٢).

ذكر أنه سيد الشهداء:

عن جابر بن عبد الله: قال ﷺ: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلىٰ إمام جائر قام ونهاه». وفي رواية «حمزة خير الشهداء». وعن أبن مسعود قال: قال ﷺ «ألا أنبئكم بأفضل الشهداء عند الله بعد حمزة بن عبد المطلب، قيل: بلىٰ يا رسول الله. قال: رجل أتىٰ أميراً جائراً فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فإن هو لم يقتله لم يجر عليه ذنب ما دام حياً، وإن قتله كان أفضل الشهداء عند الله بعد حمزة بن عبد المطلب(٤٣).

شهادة النبي ﷺ له بالجنة:

قال ﷺ: «دخلت البارحة الجنة فإذا حمزة مع أصحابه»(٤٤).

حمزة أحد نجباء الرسول ﷺ:

في رواية عن قطر بن خليفة عن كثير النواء، سمعت عبد الله بن مالك، سمعت علياً عليه السلام يقول: قال ﷺ: «لم يكن نبيّ قط إلّا وقد أعطىٰ سبعة نجباء ووزراء، وإني أعطيت أربعة عشر أحدهم حمزة»(٤٥).

اعتزاز علي بن أبي طالب عليه السلام بعمّه حمزة:

كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعتزّ جداً بعمه حمزة بن عبد المطلب، وقد سمىٰ

ابنه الحسن أول الأمر بحمزة من كثرة محبته له، فقد جاء في باب ذكر تسميتهما الحسن والحسين كانتا بأمر الله تعالىٰ». في كتاب ذخائر العقبىٰ ذلك: «عن علي عليه السلام قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه باسم عمه جعفر، قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إني أُمرت أن أغير اسم هذين، فقلت: الله ورسوله أعلم، فسماهما حسناً وحسيناً»(٤٦).

علي لا يفارق ذكر حمزة:

كان علي عليه السلام لا يفارق ذكر اسم عمه حمزة إجلالاً لقدره واعتزازاً به، وقد ورد ذلك في كتاب ذخائر العقبىٰ في موضوع: «ذكر برّ علي عليه السلام به ـ يعني عمه العباس ـ ودعائه له». وذلك «عن ابن عباس قال: اعتلّ أبي العباس، فعاده علي عليه السلام، فوجدني أضبط رجليه، فأخذهما من يدي، وجلس موضعي، وقال: أنا أحقّ بعمي منك، أن كان الله عز وجل قد توفىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمي حمزة وأخي جعفراً، فقد أبقىٰ لي العباس، عمّ الرجل صنو أبيه وبره به كبره بأبيه، اللهم هب لعمي عاقبتك وارفع له درجة، واجعله عندك في عليين»(٤٧).

حديث الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ قبر حمزة رضي الله عنه:

ورد في الطبقات الكبرىٰ لابن سعد قال: أخبرنا عبد الله بن سلمة بن قعنب، قال: أخبرنا محمد بن صالح بن يزيد بن زيد عن أبي أسيد الساعدي، قال: أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ قبر حمزة، فجعلوا يجرون النمرة، فتنكشف قدماه ويجرونها علىٰ قدميه فينكشف وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اجعلوها علىٰ وجهه وجلعوا علىٰ قدميه من هذا الشجر». قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه فإذا أصحابه يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قيل يا رسول الله لا نجد لعمك اليوم ثوباً

واحداً يسعه: فقال ﷺ: «إنه يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف، فيصيبون رفها مطعماً وملبساً ومركباً أو قال: مراكب، فيكتبون إلىٰ أهلهم هلموا إلينا فإنكم بأرضٍ جرديه، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يصبر لأوانها وشدتها أحد إلّا كنتُ له شفيعاً، وشهيداً يوم القيامة»(٤٨).

حمزة في عالم الشعراء:

يحفل الأدب العربي بكثير من القصائد الشعرية عن سيدنا حمزة بن عبد المطلب، أما بشكل صريح أو بالكناية، والأبيات التي قيلت في حقه موزعه بين رثاءٍ له، أو مفاخره لشجاعته أو ورود اسمه في المدح النبوي.

في ذكر أوصافه:

بنوه سراة كهلُهم وشبابُهم ... تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقر
قُصيٌّ الذي عادىٰ كنانة كلَّها ... ورابط بيتَ الله في العُسر واليُسر
وأبقىٰ رجالاً سادةً غير عُزّل ... مصاليت أمثال الردينية السُمر
أبو عُتبة المُلقىٰ إليّ حِباؤه ... أغرُّ هِجان اللون من نفر غر
وحمزة مثل البدر يهتزّ للندىٰ ... نقي الثياب والذمام من الغدر(٤٩)

قال ابن اسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب(٥٠):

أتعرفُ الدارَ عفا رسُمها ... بعدكَ صوبُ المسُبِل الهاطلِ
بين السرّاديح فأُدمانةٍ ... فمدفع الرّوحاء في حائلِ
ساءلتُها عن ذاك فاستعجمت ... لم تدرِ ما مرجوعةُ السائل
دع عنك داراً قد عفا رسُمها ... وابكِ علىٰ حمزة ذي النائل
المالئِ الشّيزي إذا أعصفت ... غبراءُ في ذي الشّيِم الماحل

أظـــلمت الأرضُ لفـقدانـه واسودّ نـور القـمر النـاصل
صـــلىٰ عـــليه الله في جـــنّةٍ عـــاليةٍ مُكـــرمة الداخـــل
كـنا نـرىٰ حمـزة حِـرزاً لنـا في كـــل أمـــر نـــابنا نـازل
وكـــان في الإسـلام ذا تُـدْرَأ يكفيك فقدَ القـاعد الخـاذل
غـــداة جـــبريل وزيـــرٌ له نعم وزيـرُ الفـارس الحـامل

الهوامش :

(١) راجع كتاب «نسب قريش» ١ : ٥ وبعدها في مادة «ولد عدنان».
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١١، ذخائر العقبي ص ١٧٢.
(٣) نسب قريش ١ : ١٧.
(٤) الطبقات الكبرىٰ ق ١ ٣ : ٣.
(٥) نسب قريش ٨: ٢٦١.
(٦) تاريخ العيقوبي ٨: ٢٦١.
(٧) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣ ق ١ : ٣-٤ طبقة ليدن.
(٨) سير أعلام النبلاء /الذهبي ١ : ١٢٧.
(٩) ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ ص ١٧٣.
(١٠) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص ١٥٤.
(١١) المدائح النبويه المتضمنه لسور القرآن الكريم للسيد هاشم الخطيب ـ هامش الصفحة ٨٥.
(١٢) المدائح النبوية ـ هاشم الخطيب ص ٨٧.
(١٣) ذخائر العقبىٰ ص ٨٥، في موضوع (ذكر تاريخ مقتله).
(١٤) حمزة أسد الله ورسوله ـ جميل إبراهيم ص ٢٥-٢٦.
(١٥) حمزة أسد الله ورسوله ـ جميل إبراهيم ص ٢٦.
(١٦) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٩.
(١٧) ذخائر العقبىٰ ص ١٧٢.
(١٨) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٩.
(١٩) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٠.
(٢٠) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣ ق ١ : ٤.
(٢١) السيرة النبوية لابن هشام ٢.
(٢٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣ ق ١ : ٤-٥.
(٢٣) سير اعلام النبلاء ـ الذهبي ١ : ١٣١.

(٢٤) المدائح النبوية ـ هاشم الخطيب ص ٨٤-٨٥.
(٢٥) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٣ ق ١ : ٤.
(٢٦) الحج : ٣٩.
(٢٧) النساء : ٨٤.
(٢٨) الأنفال : ٦٦.
(٢٩) تاريخ اليعقوبي ٢ : ص ٤٤.
(٣٠) ذخائر العقبىٰ ص ١٧٦.
(٣١) تاريخ العقبىٰ ٢ : ٤٧.
(٣٢) السيرة النبوية لابن هشام ق ٢ ص ٦١.
(٣٣) السيرة لابن هشام ق ٢ ص ٦٢.
(٣٤) السيرة لأبن هشام ق ٢ ص ٦٩-٧٠.
(٣٥) الطبقات لابن سعد ٣: ٤-٥.
(٣٦) النحل : ١٢٥.
(٣٧) النحل : ١٢٧.
(٣٨) ذخائر العقبىٰ ص ١٨٥.
(٣٩) ذخائر العقبىٰ ص ١٨٥.
(٤٠) الطبقات لأبن سعد ٣ ق ١ : ٦.
(٤١) ذخائر العقبىٰ ص ١٧٦.
(٤٢) ذخائر العقبىٰ ص ١٧٦.
(٤٣) ذخائر العقبىٰ ص ١٧٦.
(٤٤) ذخائر العقبىٰ ص ١٧٦-١٧٧.
(٤٥) سير أعلام النبلاء الذهبي ١ : ٢٩٥.
(٤٦) ذخائر العقبىٰ ص ١٢٠.
(٤٧) ذخائر العقبىٰ ص ٢٠٢.
(٤٨) الطبقات لابن سعد ٣ ق ١ : ص ٨.
(٤٩) السيرة النبوية لأبن هشام ق ١ ص ١٧٤ ـ قصدية حذيفة.
(٥٠) السيرة النبوية ق ٢ ص ١٥٥-١٥٦.